وهل الإيمان إلا الحب ؟

٣

حب
رسول الله

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

إلى المدينة المنورة

... وخرج الموكب من مكة المكرمة... وسار على الطريق المتجه إلى المدينة المنورة ، وبدأ الفائزون يتذكرون قصصاً وأحداثاً جرت مع رسول الله ﷺ ، فقال أحدهم : إن حب أبي بكر الصديق لرسول الله بلغ حداً كبيراً ، حيث لما وصلا إلى الغار ، دخل أبو بكر وراح يتفقّد الغار خوفاً من أن تؤذي حشرة أو إحدى دواب الأرض رسول الله ، وبالتالي مزّق من ثوبه بعض القطع وسدّ بها الجحور !!

فقال صديقه : أجل ، فأبو بكر الصديق كانت كل أمنيات حياته تدور في فلك رسول الله ، وذلك من شدّة حبه له ، لذلك كان يقول : وأنا أحبّ من الدنيا ثلاث : النظر إلى وجه رسول الله ، وإنفاق

مالي بين يدي رسول الله ، وأن تكون ابنتي زوجةً لرسول الله ﷺ .

ولصدق الصدّيق حقق الله له هذه الأمنيات الثلاثة ، فكان صاحب رسول الله والرفيق له في كل الأمور ، حتى في أحلك الظروف وأصعبها ، وهي الهجرة :

﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

[التوبة : ٤٠] .

ولما انتدب رسول الله الناس للإنفاق ، جاء أبو بكر بكل ماله ووضعه بين يدي رسول الله ، وتزوج رسول الله ابنته عائشة رضي الله عنها ، بل إن الله زاد في الفضل فكان إلى جوار رسول الله في القبر... !!

وعلّق الشيخ (يحيى) على ذلك بقوله : إن الله تعالى لم يَدَعْ هذه الأمة تسير على أهوائها ،

وتطيعه حسب رغباتها ، إنما قيَّد ذلك بقيد واحد ، وأغلق كل الأبواب والطرق ، وفتح لها باباً واحداً تلج منه إلى الله تعالى ، وجعل لها صراطاً مستقيماً واضحاً ، وقال لها هذا هو الطريق القويم ، فمن سار عليه سعد ، ومن ابتعد عنه وحاد هلك في الدنيا والآخر ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[الأنعام ١٥٣] .

لكن من الذي يدلّ الناس على الصراط المستقيم؟

إنه النور.. إنه رسول الله محمد ﷺ ، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ ﴾

[الشورى : ٥٢ـ٥٣] .

... وسار الموكب باتجاه مدينة رسول الله... وكلما اقترب الزمان والمكان خفقت القلوب شوقاً

أكثر فأكثر ، كيف لا وقد اقتربوا من ضريح الرسول المصطفى ؟!

ما هي الدوافع إلى محبة رسول الله ﷺ

تساءل (عليّ) عن الدوافع التي تؤدي إلى محبة رسول الله ، فأجابه الأستاذ (نور الهدى) : هناك دوافع كثيرة ، لكن أهمها :

١ـ أن رسول الله هو أفضل الخلق على الإطلاق : حتى من جميع الأنبياء والرسل ، بل وحتى من الملائكة ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

ومصداق قول الرسول ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » .

ولذلك فكل شيء في الكون من جمادات ونباتات وحيوانات وإنس وجن والكل اعترفوا بالرسول وأحبوه وأطاعوه !!

فجبل (أُحُد) تفاعل مع ذلك ، حتى قال رسول الله :

«هذه طيبة ، وهذا أُحُد ، أُحُدٌ جبلٌ يحبنا ونحبّه».

والجذع من النخل ، الذي كان رسول الله يخطب عليه ، حين تركه الرسول لما صنعوا له منبراً من خشب ، هذا الجذع لما تركه الرسول أخذ يحن حنيناً مؤلماً ، حتى سمع صوته كل من في المسجد النبوي، ورحم الله الحسن البصري عندما كان يقول : يا معشر المسلمين ! الخشبة تحنّ إلى رسول الله شوقاً إليه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه ﷺ .

وكذلك الحجر فقد سلّم عليه ، ومثله الشجر ، وكذلك إضاءة المدينة يوم دخوله ، وإخبار الشاة المسمومة ، وتسبيح الحصى ، وتسبيح الطعام ، وغير ذلك..

٢ـ ولأن محبته ﷺ محبة لله تعالى ، مصداق ذلك قوله عز وجل :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

[آل عمران : ٣١] .

ومصداق ذلك قوله رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » .

وبالتالي فالله تعالى أمر بتوقيره وتشريفه : لذا فلا يجوز مخاطبته باسمه ، ولا يجوز رفع الصوت فوق صوته ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ

ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

٣ـ ولأنه ﷺ سبب هداية الخلق : فهو حريص عليهم ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

ومن مظاهر حرصه على أمته حرصه على نجاتها من نار جهنم ، مصداق ذلك قوله ﷺ : « إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه ، فأنا آخذ بحجزكم ، وأنت تقحَّمون فيه » .

أي أن الكثير من الأمة يتفلتون من بين يديه ليقعوا فيها ، وهو الحريص على نجاتهم ، إنهم يريدون هلاك أنفسهم ، وهو يريد أن يعيشوا سعادة الدنيا والآخرة .

لذلك كان من حرصه على الأمة تأخير دعوته المستجابة ، مصداق ذلك قوله ﷺ : « لكل نبي دعوةٌ مستجابة ، فتعجّل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة » .

٤ـ ومن الدوافع التي تجعل المرء يحبه أكثر فأكثر ، أن كل تفصيلات حياته تعتبر أسوة وقدوة للأجيال القادمة : فإذا كان الإنسان أباً استطاع أن يجد في سيرة الرسول الأبوّة المثالية ، وإذا كان جدّاً تعلم من سيرة الرسول ﷺ كيف يتعامل مع أحفاده.. ، وإذا كان الرجل متزوجاً بأكثر من واحدة ، ففي حياة الرسول كيفية التعامل مع عدة زوجات ، وإذا كان الرجل متزوجاً بواحدة فقط ، وجد الرسول وهو يعيش فترة شبابه كله مع السيدة خديجة ، وهكذا في الحرب والفداء و... وهكذا في قيادة الجيوش، وهكذا في السوق... ومع الفقراء... ومصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

نتائج محبة رسول الله ﷺ

وسأل (حسين) أستاذه (زين العابدين) : وما هي النتائج المرجَّوة من محبة رسول الله ﷺ؟

وأجاب الأستاذ (زين العابدين) عندما يحبُّ الإنسان رسول الله يقتدي به ويتخلّق بأخلاقه الحميدة ، ويتصّف بصفاته ويتبعه في أحواله وأقواله وأفعاله .

إضافة إلى تعظيم ذكره ﷺ إذا ورد ، وقد ذكرت كتب السيرة والتاريخ أن كثيراً من الصحابة والتابعين كانت لهم أحوالٌ عجيبةٌ عند ذكر رسول الله ﷺ .

وأهم شيء في ذلك كثر ة الصلاة والسلام عليه ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

وكذلك محبة أهل بيته وصحابته أجمعين ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ ﴾ [الشورى : ٢٣] .

وقال أيضاً : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

إضافةٌ إلى الاشتياق إلى رؤيته ﷺ ، مصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « من أشد أمتي لي حباً ، ناسٌ يكونون بعدي ، يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله » .

ومن أهم نتائج محبة الرسول ﷺ طاعته الكاملة ، وذلك لأن الله تعالى قرّر ذلك في القرآن :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٠] .

وفي يوم القيامة ، وبعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ينظر أهل النار إلى ما آل إليه أمرهم ، فيقولون : إن السبب في ذلك عدم طاعتنا لله وللرسول ﷺ .

قال تعالى في وصف ذلكم المشهد :

﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب : ٦٦] .

وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال :

« من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » .

فمحبة الرسول تعني طاعته والاحتكام إلى

أوامره وسننه ، قال تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وبالمقابل : فمخالفة أمره ﷺ توصل إلى جهنم والعياذ بالله تعالى :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

طلع البدر علينا

هاهو الموكب قد اقترب من مشارف المدينة المنورة ، وهاهي الأماكن التي مر بها رسول الله.. وعاش فيها العهد المدني... ، وتلكم القبة الخضراء التي تضمّ تحتها قبر الرسول ﷺ... ، وبدأ البكاء يعلو ويرتفع... غالبية الشباب جاؤوا لزيارة

الحبيب ﷺ ولأول مرة... وراح الشيخ (يحيى) يقص عليهم قصة (ثوبان) رضي الله عنه :

لقد رآه الرسول ذات يوم وقد اصفر لونه وبدا وكأنه مريض منذ فترة طويلة ، فقال له : « ما بك يا ثوبان ؟ أبك من مرض؟ » فقال ثوبان : لا والله يا رسول الله ، ما بي من مرض ، غير أني إذا لم أرك في اليوم تضيق بي الدنيا ، فأخرج أبحث عنك حتى أراك ، فذكرت الآخرة وأين مقامي من مقامك ؟ ثم بكى .

فأنزل الله عز وجل :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾

[النساء : ٦٩-٧٠] .

ولما دخلوا المسجد النبوي.. أجهش

(حسين) بالبكاء ، وراح يقول :

١ـ أقولُ والدمعُ مِنْ عينيَّ منسجمُ
لمَّا رأيتُ جدارَ القبرِ يُستلمُ

٢ـ والناسُ يغشونهُ باكٍ ومنقطعٌ
منَ المهابةِ أو داعٍ فملتزمُ

٣ـ فما تمالكتُ أنْ ناديت مِنْ حرقٍ
في الصَّدر كادتْ لهُ الأحشاء تضطرمُ

٤ـ يا خيرُ منْ دُفنت في القاع أعظمه
فطابَ منْ طيبهنَّ القاعُ والأكمُ

نفسي الفداءُ لقبر أنتَ ساكنُه
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

والحمد لله رب العالمين